بنفسج الروح

عنوان الكتاب: بنفسج الروح

الكاتبة: خديجة سندس حمادوش

الناشر: ماروشكا للنشر والتوزيع

ISBN: 978-9969-638-27-1

الطبعة الأولى: مارس 2026

المدير العام: بن وارث أمال

لمراسلة الدار:

إيمايل: marouchka.edition@gmail.com

هاتف: 213697717050+

العنوان: تحصيص تاقوفت توسيع رقم 17 .أم البواقي ـ الجزائر

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر، وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن منه.

بنفسج الروح

نصوص وخواطر

خديجة سندس حمادوش

دار أوشى
للطباعة والنشر والتوزيع

إهداء

إلى الزهرة التي نبتت في داخلي رغم العتمة، إلى البنفسج الذي علمني أن الهدوء يمكن أن يحدث ثورة.

إلى عالمي الداخلي، حاضنة الذكريات التي شكلتني، وصوت صدى كل لحظة عشتها.

إلى كل ما لم يقل.

وإلى الذين مروا خفافا وتركوا فيّ أثرا لا يمحى.

هذا الكتاب لكم، وكل كلمة فيه صدى لوجودكم بداخلي.

مقدمة

روح خافتة تجول في أركان الغابة المظلمة، تلك النفس البشرية التي أوقدت العالم وقلبته رأسا على عقب بنزواتها وزلاتها، روح بنفسجية تكتب بأنامل مبدعة بعضا من تفاصيل حياتها، بعدما كانت تعتقد أن تلك التفاصيل الصغيرة المثيرة شيء لا يذكر... أنها ليست مجرد يوميات فتاة، بل انتقال من عالم الروح إلى عالم المادة، تأملات فكرية تأخذ عقلها إلى عوالم عدة، لكل لحظة صدى يرافقها كظل خفيف، وهي لاتزال في مكانها على بساط الأرض المعمورة، أنها ليست مجرد عابرة في هذه الحياة، بل روح تسعى لإيجاد معنى وجودها... لم تكن فتاة عادية، لقد كانت مع كل لقطة تقف متسائلة، ما مغزى هذا في شريطي؟ لقد كانت دائما تشعر وكأنها وافدة من عالم آخر... عالم لا يشبه عالمنا... التعامل فيه يختلف تماما عن تعاملنا هنا، لقد كانت تعرف يقينا أن الجسد ليس موطنها، بل الروح المضيئة التي أهدتها وهج الوصال لتأتي إلى هذه الحياة وتعيشها بحلوها ومرها، وتُدوّن كل ما أحب الخاطر أن يقال، ثمة الكثير لم تفصح عنه، وثمة من كتبته في هذا الكتاب الذي يعتبر المرآة التي ترى فيها نفسها وكيانها بكل كلمة خطرت على بالها يوما. أحيانا يتخبط الإنسان بين كل لحظة ولحظة، وهو لا يدري أن تلك اللحظات الصغيرة التي تشبه لقطات من فيلم، هي بمثابة ارتقاء النفس من مكان إلى مكان، من رتبة إلى رتبة.

يولد الإنسان مرات كثيرة، أهمها عندما يهبط إلى هذه الأرض، وعندما يلتقي بمن يحب ويموت على دفعات، أهمها عندما يخسر شيئا يحبه وعندما يخيب ظنه...

لوهلة شعرت أن الزمن توقف... وأنا بين الحين والآخر... أتساءل يا ترى أسيأتي يوم وتكون تلك المشاعر المضطربة لديها منبر... يسمى الكلمة؟

تلك الكلمات التي انسابت من قلمي يوما، عندما قررت أن أكتب ولأول مرة في حياتي... ليس عن الأشخاص ولا عن أي شيء، عن نفسي وفقط.

ذاك اليوم الذي اكتشفت فيه موهبتي... ذاك اليوم الذي قالت فيه أستاذتي إنني موهوبة ومصابة بلعنة الكتابة.

ذاك اليوم الذي شعرت فيه أن لدي حقا رسالة لأوصلها لهذا الوجود المربك، لعلي أمنحه بعض الهدوء ليتزن قليلا.

لقد مرت الأيام بسرعة، وهانا أحضّر مقدمة هذا الكتاب ليكون بين أيديكم يوما ما.

الفصل الأول

بين ثنايا الروح

«هناك حيث تسكن الذاكرة في زوايا القلب، تبدأ الحكاية»

أول مرة أكتب...

كومة من المشاعر المضطربة كانت تسكن بداخلي ذلك اليوم، كنت مرهفة الأحاسيس وعاطفية لأبعد حد... كنت كطفلة صغيرة تحمل هم الانتباه للتفاصيل الصغيرة، في ارتجافة الضوء على الجدار، وفي تنهيدة الريح حين تمر على وجهي، وفي اتساعة صدري للحظة بسيطة دون سبب واضح... تلك اللحظة الأولى التي صمت فيها العالم، وسمعت صدى نفسي لأول مرة.

اللحظات البسيطة من الحياة، يحيا فيها الهادئون وذوو الحس الرفيع، تولد الكلمة من رحم الشعور...أنها ابنة الصمت، وحفيدة الدهشة، وأخت الوجع الجميل.

لن أنسى ذلك اليوم الذي أمسكت فيه القلم... كانت تلك اللحظة أشبه بالنجاة من الغرق، كطفل تائه وجد أمه للتو... كان القلم بالنسبة لي في تلك اللحظة بمثابة طوق نجاة وسط زيف هذا الوجود المربك.

كان القلم بمثابة الشيء الثابت الذي لم يتغير في حياتي، كان الوصل الأول الذي قربني لذاتي، لعالمي الداخلي، لأصلي... لقد كان البلسم الذي يشفي جروحي، والشخص الذي أعري له كل ما في نفسي... الصندوق الذي لن يفتح.

ذلك اليوم الذي انسابت الكلمات من يدي لا إراديا، تحولت كل تلك المشاعر التي كانت تشعل صدري إلى كلمات جميلة وعميقة تلامس روح كل من يقرؤها.

منذ أن بدأت الكتابة بذلك الشكل الشغوف، لم أعد بحاجة لأحد يعيرني منديلا، أو يبدي اهتماما لدموعي المنذرفة، أو لحزني المفاجئ، أو حتى لسعادتي.

هنا وحدي، وحدي أذرف من الوجد دموعا، أمشي بمخيلتي في طريق فيه الظلام المدلهم.

خلقت لأكون كاتبة، لأدرك ماهية الشعور أكثر من أي شخص، كي أقف مع كل مظلوم، ومحزون، ومقهور، فالحزن محبرة الكاتب.

لقد اختارني القلم ولا يمكنني الانسحاب، لكنني لم أجد ضالتي بعد، فهل ساجدها؟

كلما تجرعت الألم، شعرت أن شيئا جديدا في داخلي يتكون، ليس الجلد الذي يغلظ، بل الروح التي تتشكل من جديد...

الألم لا يعلمني الصبر فقط، بل يعلمني أن أرى، أن أرى نفسي حين أنكسر وأرى الاخرين كما هم دون أقنعة... كلما شعرت أعمق، كلما كتبت أكثر.

لم أكن أعرف أن هذه الموهبة رغم أنها ثمينة وقيمة، إلا أنها تكلف صاحبها كثيرا.

ربما لم أختر الكتابة، بل هي التي اختارتني لتخفف عني هذا الاتساع الموجع في الإحساس.

كل وجع مر بي كان كالنار، يمر ثم يترك أثرا، لكنه في النهاية يصهر الزوائد ويبقي جوهرا أكثر صفاءً، ومع كل وجع كنت أكبر من دون أن أنتبه، كأن الحياة تعيد تشكيل روحي على مهل، وكانت الكتابة المنفى والملجأ في نفس الوقت لهذه الأوجاع.

لم أكتب كلمات فقط، بل كنت أتهجى ملامحي بين السطور، كأن الحبر يرتجف من هول المشاعر وحساسية الحدث.

كانت الحروف تأتي وحدها، كأنها تعرف الطريق إلى الورق أكثر مما أعرف أنا الطريق إلى نفسي.

وكلما كتبت أكثر، شعرت أن شيئا في داخلي يشفى، وشيئا آخر يولد من جديد.

فمنذ تلك اللحظة، لم أعد أكتب لأقول شيئا، بل لأحيي خيط الوصال مع ذاتي.

كانت الكتابة بمثابة الماء الذي يذهب ظمئي، وليس أي ظمأ، بل كان ظمأ الروح.

أن ظمأ الروح أعظم من ارتواء المادة، وخوف النفس أحب من طمأنينة الجسد.

فقد صدق من قال: عندما لا تستطيع البكاء تصبح كاتبا، وعندما لا تسعفك الكلمات تصبح قارئا.

الكتابة تجعلني أعيش في كل لحظة مرت بي، وتجعل روحي تحلق فوق كل ما هو عادي، لتلمس أفقا لا يراه إلا من يجرؤ على الكتابة.

في أعماق كل كاتب، روح لا تهدأ، تبحث عن معنى يبرر هذا الكم من الإحساس الذي يسكنه... يعيش الكاتب بين صمت يقبع في داخله، وكلمات تتزاحم لتولد من رحم الألم والدهشة، يكتب لا لأنه يريد، بل لأنه إن لم يكتب سيمتلئ حد الانفجار.

الكاتب لا يرى العالم كما يراه الآخرون، بل يراه عبر عدسة من الشعور فيقرأ في الوجوه الحكايات، وفي العيون الفصول، وفي التفاصيل الصغيرة رسائل خفية لا يلتقطها سواه.

هو كائن هش في مظهره، قوي في عمقه، يعيش أكثر من حياة في خياله، ويدفق ألف مرة في سطر واحد، يسكب من ذاته في كل حرف، حتى تغدو كلماته مرآة لروحه، وامتدادا لصمته، واعترافا صادقا بما يعجز عن قوله وجها لوجه مع العالم.

لعل الكاتب هو أجمل ما أهدته لنا الحياة، لنكتشف من خلاله أن ما تحسه يمكن أن يولد من جديد على الورق، حيا ينبض يشبهنا.

حلم بعيد المنال

تلك الأبواب المغلقة التي لم تفتح بعد، ذاك السراب الذي يشعل في قلبك نيرانا لا تهدأ، حتى عندما تبدأ بالسير نحو وجهتك تهب عاصفة الحقيقة، أن ذلك السراب كان كذبة محتمة.

لكل واحد منا سجل مملوء ببعض الأشياء التي تمناها في سره، لكنها أبت أن تكون واقعا... لقد ظلت عالقة في عالم الأحلام.

يخسر الإنسان مرات عديدة، ويخسر أيضا عندما تتبعثر أوراق قدره ولا يعلم من أين المفر، لا يستطيع ترتيب ما حوله... أشبه بلعبة صغيرة بين العديد من الألعاب.

على حافة الطريق، في المكاتب، في المقاهي، وفي كل مكان، أحياء لكنهم موتى... تلك الشرارة التي كانت تنير قلوبهم، وتدفعهم للعيش والمضي قدما قد انطفئت.

بداخل كل منا عالم ارتضاه لنفسه أن يكون أمامه، لكننا لم نوفق جميعا بنفس تلك الدرجة.

كنت أشبه بروح تائهة يومها، تجهل وجهتها تماما، ولا تعلم أتقف عاجزة أم تبدأ خطواتها من العدم.

لكل منا أحب رؤية خاصة به، حال تمنى أن يكون عليها.

لم أكن أعرف وجهتي، ولم أكن أشعر أن لدي شيئا يميزني... كنت أعيش الحياة وأتساءل وأنا ما زلت في السابعة من عمري، يا ترى ما الذي أتى بي إلى هنا؟

ما الشيء الذي سأعيش من أجله طوال حياتي، تبدو الحياة مملة جدا إن كانت بهذه العشوائية.

لم تكن أبدا بتلك العشوائية، كان لكل واحد منا رسالته، وصوت داخلي ينطق بما لا تنطق به الأصوات الداخلية الأخرى، لكن المجتمع، والعائلة، وكل تلك المشتتات التي تحيط بنا، تقمع ذلك الصوت، حتى نغدو نسخا متكررة، لا نشبه أنفسنا في شيء.

لطالما كانت هذه الحياة هي ملجأنا المؤقت، لكنها في نفس الوقت هي الفاصل الذي يقيم أداءنا فيها، ثم يطلق علينا الحكم على حياتنا الآخرة الأبدية.

أقسى ما يعيشه الإنسان في هذه الحياة، هو أن يعيش ولكنه لا يحيا الحياة التي يعيشها، دوما في مكان ليس بمكانه، في زمان ليس بزمانه.

يرى كل من أمامه باهتا لأنه لا يقوى على الشعور بمن حوله، لأن لا شيء ينتمي إليه.

ذلك الشعور الذي يسمى الاغتراب الوجودي في علم النفس، عندما تشعر وكأنك لا تشعر بأي شيء، لا المكان مكانك، ولا الأشخاص الذين أنت معهم أشخاصك.

إنه أشبه بشمعة تتوهج صباحا، وما إن يمضي وقت لا بأس به تجدها منصهرة من تلقاء نفسها وكأنها عدم.

ذاك الطقس الغائم الذي يعجبني ويروق لي رغم أنه لا يعجب الجميع...إنني أحبه، لأنني فيه أعزي أمالي المستحيلة، وكل عثراتي وجروحي المندملة، كل ذكرى حزينة أدفنها فيه. في ذلك اليوم الغائم أتذكر تفاصيل كل الذكريات البعيدة جدا علي، تلك الأحلام التي سطرتها يوما عندما كنت أظن أن الحياة ستنصفني دائما، وأن كل ما رغبته سيكون واقعا.

الأحلام لا تتحقق دائما...

بعضها مستحيلة، كعودة ميت إلى الحياة، أو أن تتمنى مثلا أن يعود بك الزمن لتصلح ما فاتك. ذلك الشعور الذي يسمى الندم، الذي يفتك كل أواصل قلبك، يناديك للرجوع بالزمن وتغيير ما حدث، لكنك لا تملك القدرة على ذلك.

ليس كل ما يرغبه المرء يتحقق، بعض الأحلام مستحيلة، لقد شاء لها القدر بأن تكون مجرد ذكرى بعيدة، كسراب يختفي كلما اقتربت منه، ويبتعد كلما توقفت عن الركض وراءه.

بعض اللحظات رغم أنها عفوية وقصيرة المدى، إلا أنها تضفي فيك شعور الشوق لتعيشها مرة أخرى، رغم بساطتها إلا أنها لحظات مقدسة بالنسبة لك.

أحيانا تبدو أحلامنا بعيدة كنجمة تختبئ خلف الغيوم، نمد أيدينا نحوها فنعود بالفراغ، لكن شيئا فينا يرفض الاستسلام.

فحتى المستحيل يلين أمام قلب يؤمن، وأمام عيون لا تعرف سوى النظر إلى القمة، فالأحلام التي يسمونها مستحيلة هي في الحقيقة امتحان لإصرارنا، باستثناء بعضها، لتلك النار الصغيرة فينا التي تقول كل مرة، لم لا أكون أنا؟

مأساة الإنسان الحقيقية هي عندما يرى سوء حظه في كل ما أراده.

كانت تريد شيئا كبيرا، شيئا يشبه الميراث الذي كان بيننا، والوصل الذي لم ينقطع يوما.

لكن روحها أبت أن تواصل الكتابة، لقد تخلت عن جزء من ذاتها يومها، ومن دون سبب واضح.

وأنا ولدت من جديد لحظة صمتها، حملت الميراث عنها، وواصلت الطريق الذي توقفت عنده.

هذا الكتاب هو هديتي لك...

اعتبريه حلمك الذي تخليت عنه، وقد تحقق بواسطتي.

بعض الأشخاص لا يفقدون قدرتهم على الكتابة، بل يفقدون الأمان الذي يسمح لهم أن يظلوا كتابا.

لقد كانت أختي من بينهم، كتبت يوما بصدق أكبر من الكلمات، ثم سكتت بطريقة لا يشبهها إلا الألم.

عالمي الأدبي

ثمة عالم خفي لا يراه أحد، عالم أعود إليه حين يضيق صدري، ولا يسعني سوى الحرف، هناك بين ثنايا روحي، تولد كلماتي كما تولد النجوم في العتمة... بلا ضجيج، بلا شهود، لكنها تضيء من الداخل.

في عالمي الأدبي، كل شيء يهمس، حتى الجراح تتكلم، والذكريات تنثر ظلالها على الورق كما لو أنها تبحث عن خلاص ما، أكتب، لا لأحكي ما حدث... بل لأنقذ ما تبقى مني.

هنا لا فرق بين الحزن والدهشة، كلاهما يصبح حبرا ينساب على الصفحات، ويمنحني شكلا آخر للحياة.

أحيانا أشعر أن الكتابة ليست فعلا مني، بل امتدادا لروح أعمق، لجزء لا أعرفه تماما، لكنه يطل كلما أمسكت بالقلم، ويرشدني إلى الطرق التي أخاف السير فيها وحدي.

وفي هذا العالم الذي يتكون من نفسي الأول وارتجافتي الأخيرة، أكتب كي لا تموت الأشياء في صدري بصمت، أكتب كي أظل قادرة على الشعور، وعلى الحلم من جديد.

مع كل كتاب كنت أعيش حياة أخرى، وأهرب من خلاله من واقعي، ومن كل ما يحيط بي.

أدثر نفسي بالكتب، وأذهب إلى ركني الخاص، وأتنفس الحروف بين الصفحات، فتارة تهدأ روحي، وتارة تهيج مع كل تفصيل ومع كل حدث.

في نهاية كل كتاب، أجد نفسي مفعمة بالكثير من الأشياء التي لا توجد في واقعي...الكثير من المشاعر والكثير من الأمل والسعادة.

في عالمي الأدبي، لا تقف الكلمات وحدها، بل تمتد حولي رفوفا صامتة تشبه حدائق من ورق... المكتبة ليست مكانا بالنسبة لي، إنها روح أخرى أسكنها كلما ضاقت الدنيا. هناك، بين رائحة الصفحات وقدم الكتب، أشعر أنني أنتمي إلى شيء أكبر مني، شيء يناديني دون صوت، شيء يسكن بداخلي دوما.

كنت دائما وما زلت أؤمن بأن الكتاب ليس جمادا، كل كتاب هو بمثابة روح تعبر إليك، تسلمك شيئا منها وتأخذ شيئا منك، بعض الكتب تجرحك وتوقظ فيك ذكريات بعيدة كنت تتغاضى النظر فيها، وبعضها تضمد جراحك كمرهم مسكن، وبعضها تعلمك أن العالم أوسع من حزنك، وأعمق من خوفك، وألطف مما ظننت.

في المكتبة، أحب تلك الكتب التي تهتز أرواحها قليلا عندما ألمسها، كأنها تنتظر من يفهم حزنها العميق، أحب تلك الكتب التي تشبه صمت الليل، والتي تشبه نجاتي الصغيرة، والتي تشبهني حتى لو لم يعترف أحد بذلك.

ولعل أجمل ما في عالمي الأدبي، أنني لا أعيش فيه وحدي، معي كتب تحمل في طياتها أزمنة وشخصيات مختلفة، أصواتهم تسافر نحوي من صفحات تآكلت حوافها. مع كل كتاب، أشعر أن جزءا من روحي يستيقظ، جزءا لم أكن أعرفه.

المكتبة بالنسبة لي وطن ليس له حدود، وملجأ لا يغلق، وصديق لا يخون، ونافذة أطل منها على نفسي كلما غابت ملامحي في ازدحام الحياة.

ولهذا، أعود اليها دائما، كما يعود الطفل إلى أمه، وكما يعود الحرف إلى القلب الذي ولد منه.

إنني بصفة شخصية أشكرهم جميعا... أولئك الذين جلسوا أمام ورقة بيضاء، وقلبهم يرتجف بين الخوف والصدق، وكتبوا رغم كل شيء، أشعر بأنني مدينة لهم بكثير مما أنا عليه الآن.

شكرا لكل كاتب قاوم صمته وترك أثرا لا يمحى ولا يزول، لو لم يكتبوا لربما ظلت أشياء كثيرة في داخلي بلا اسم وبلا روح.

كتابتهم كانت هديتهم للعالم، ونجاتي الصغيرة.

كانت كروح تائهة تبحث عن موطن يحتويها... موطن يحضن مشاعرها وأفكارها وكل خواطرها.

كان ذلك الموطن هو الكتب وكل ما اشتق منها.

***

إلى الذين صانوا الود...

إلى الذين صانوا الود وكانوا وما زالوا الكتف الذي أرتكز عليه...

إلى عائلتي...إلى أمي... إلى كل من كان وهج المحبة في حياتي...

بعض الأشخاص يأتون إلى حياتك كهدية لك، كسراج منير ينير طريقك.

دائما ما يجد المرء روحا تشبهه، أو راحة عظيمة يتلقاها من شخص ما، قد دخل صفحات حياته يوما.

روح تآلفت مع روحه المرهقة... روح تهنئ بوجوده، ويشكلان رابطة قوية يصعب تفكيكها، تلك الروح قد تكون أبا أو أما أو حتى صديقا، أتى ليزهر ربيعك، ولتتآلف وتلتحم روحك بروحك.

دائما ما يتوق المرء في هذه الدنيا الشاقية إلى إيجاد ولو شخصا واحدا من بين كل سكان العالم، ليفهمه، ويأنس وحشة قلبه، ويريح أعصابه بكلامه وهالته الإيجابية، كامل يزهر مع كل إشراقة شمس.

كلنا تمنينا لو نملك حق التكرار لأيامنا معهم...

وجودنا معهم كلقطات من حلم جميل جدا...

كانوا وما زالوا كقطرات الندى التي تتساقط على أوراق الأشجار، معلنة أن المطر في طريقه ليغيث الزرع، ويبهج الأرض بقطراته الباردة والمنعشة.

بعضهم رحل وترك في بصمة مأثورة لن تندثر ما حييت، وبعضهم لا يزال وجودهم معي ينبض بداخلي... وفي عمق روحي، رغم بعد المسافات بيننا، إلا أنهم دوما بداخلي... داخل روحي المرهقة.

أحيانا يحب الإنسان في لحظة كان فيها رافضا تماما فكرة أن يحب.

كلنا نحب بطريقة ما... يحب الإنسان روحه الأخرى كأول ضوء يراه في حياته. بخوف خفي وبثقة لا تعرف الحساب.

أولئك الذين منحتهم حق النسخ والحفظ لكل لحظاتي معهم... لقد منحتهم من قلبي ما لا يسترد، وأودعت بين أيديهم أشيائي الهشة... ضحكتي الأولى، دمعي الصامت، وأحلامي التي كانت تظن أن البقاء حق لها. لقد نالوا مساحة من مذكراتي وحق الحديث عنهم بين السطور كتمجيد لهم...

بعضهم علمني معنى الوفاء...

وبعضهم علمني معنى الابتسامة في وجوه البشر...

وكلاهما ترك فيّ ندبة تشبه الحكمة.

في داخل كل منا جثث أشخاص ماتوا منذ زمن... لكن ذكراهم ما زالت توقد أوتار القلب كلما مرت تفاصيل صغيرة خصتهم في حياتنا.

حين تشتد بك سواعد الذكرى، وتتمنى لو يعود بك الزمن حتى تصلح ما فاتك من أخطاء وزلل... حين تتمنى وبشدة أن تعود لأشخاص خلدوا يومياتهم معك، ومضوا في حياتهم، ولكن ماذا عنك؟

أنت الذي تراهم في كل مكان، وفي كل ركن، وعند كل سقف...

وخصوصا عندما يحل الليل برمته، تستقبل عيناك الشاقيتان شريطا قديما مر عليه وقت طويل من الدهر.

هكذا هي الحياة، عندما يحل الظلام يصبح سقفنا مسرحا للذكريات...

«الوطن فينا وليس في الأرض والبناء، في الوجوه التي عاشرناها وألفناها.»

حنان لاشين

الفصل الثاني

صراع الذات

«عندما يجتمع العقل والقلب في لحظة واحدة، تفتح
داخل الإنسان عاصفة لا تشبه أي عاصفة»

حرب بين العقل والقلب

في تركيب الإنسان أشياء كثيرة، فيه فأر وطائر... الطائر يرفع القفص إلى الأعلى، أما الفأر فيعيده للأسفل، مئة ألف من الوحوش المختلفة موجودة في الإنسان، إلا إذا تخلى الفأر عن طبيعة الفأر، والطائر عن طبيعة الطائر، وغدت جميعا شيئا واحدا، لأن المطلوب ليس فوق ولا تحت، عندما يظهر المطلوب لن يبقى فوق ولا تحت.

«جلال الدين الرومي»

تتأرجح النفس بين ذيل الرذيلة وناقوس الفضيلة، فتارة تفلح وتارة تخيب...

لا يصل الإنسان إلى الكمال إلا إذا أنهى الصراع النفسي القائم بينه وبين نفسه، وهذا أمر أشبه بمعجزة بل مستحيل...

ذلك الميزان الذي غالبا ما نفشل في ترجيحه...

نفشل فشلا ذريعا في أن نوازن الكفة، لوجود عدة أعذار نختلقها قادمة من العالم الخارجي الحر، والمنفصل تماما عن السيطرة الداخلية، رغم وجود علاقة طردية بين النفس والعالم الخارجي، إلا أنه لا يملك أي قوة في السيطرة على النظام الداخلي المتجذر.

فنلقي اللوم على أنفسنا، وإذا لم نلق اللوم عليها، نلجأ لاتهام الآخرين والعالم الخارجي، وإقحامهما في مشاكلنا النفسية والشخصية، ونحن لا نعلم أننا لسنا مجرد جرم صغير، بل فينا ينطوي العالم الأكبر.

كيف سنفهم أن كل ما نراه في الحقيقة ما هو إلا مرآة تعكس ما بداخلنا من نزوات، وأفكار، ومعتقدات، ومبادئ.

لا يوجد صراع في الحقيقة... نفس الإنسان وطبيعتها هي من تختلق ذلك الصراع اللعين الذي يضعك أمام خيارين دوما.

في كل ما نفعله، وما ننوي فعله أو ما نشعر به، دوما ثمة خياران وأكثر.

***

إن مساوئ النفس عظيمة، والتفكير فيها يجعلك في دوامة... البشر يجعلونك تجهل الحقيقة، كل شيء في تلك الحياة يجعلك بعيدا عن الحقيقة تماما... بعيدا عما يقربك من شيء أفضل.

مأساة كبيرة عندما تكون ذلك الشخص الذي يمتلك شخصين بداخله، إحداهما عاطفية إلى حد الانهيار، وأخرى عقلانية لدرجة أن تسخر من تصرفك السابق...

كشخص يمتلك الهدوء ليتصف بالرزانة...

وأخرى عصبية إلى حد الجنون...

كشخص ينسى حزنه ليبتسم...

فيتذكر خيبته ويحزن مجددا...

مأساة عندما يحاربك ألف تناقض تعيشه في اليوم الواحد.

الزمن يفعل كل ما بوسعه حتى يجترنا لمرفأ الصحو... لكن نحن من يحلو لنا الانغماس في سراديب الوهم، والانسياق خلف رياح العاطفة حتى لا يبقى فينا ما يمكن إصلاحه...

قد تتغير نظرتنا للأمور وللأشخاص فجأة، وقد نكون بخير حينها، حتى وإن كان كل شيء ليس بخير.

ربما سيفيدنا أن نتجاهل مشاعرنا تماما حول ما نريد من العاطفة...

فالعاطفة شلال لا ينتهي، وإن زادت سرعته فسنغرق، وسنفقد الوجهة إلى أمان اليابسة.

لذا فأحيانا يجب أن نتجاهل وحسب صراعاتنا الداخلية، لكن ليس دائما...

يحتار الإنسان أحيانا في ماذا سيكون وكيف سيصبح، وماهي الوسيلة التي ستدفعه ليتقدم إلى الأمام، ويحقق كل ما تهوى النفس وتبتغي.

لن يحقق المرء شيئا دون أن يصلح دواخله الذاتية، ودون أن يبني عالمه الخاص ويضع الخطوط الحمراء، ودون أن يعلم نفسه ويعمل على ترويضها بشكل جيد.

في داخلي ساحتان لا تهدآن...
ساحة يخفق فيها القلب بلا حساب...
وساحة يقف فيها العقل كحارس صارم...
كل منهما يشدني نحوه...
وأنا في المنتصف... أتأكل ببطء.
القلب يقول: اقترب، لا تخف، المشاعر لا تخطئ.
والعقل يهمس: توقف، لا تجرب، الخسارة تعد مرتين.
وبين الهمس والخفقان، أتوه كأنني معلقة بين سماء لا تمسك بي، وأرض لا ترغب في احتضاني...
كم حاول العقل أن ينقذني من اندفاعي..
وكم حاول القلب أن ينقذني من برودي...
وكلاهما يفشل حين أصل إلى تلك اللحظة...
التي أريد فيها كل شيء، ولا أستطيع اختيار شيء...
إنني أؤمن أن هذا الصراع هو أكثر ما يجعلني إنسانة...
أن أحب رغم معرفتي بالخطر...
وأن أتراجع رغم اشتعال الرغبة...
ليس لأنني ضعيفة، بل لأنني أعيش بنصفين لا يتصالحان بسهولة...
وهكذا أبقى...

بقلب يتقدم خطوة...
وعقل يسحبني خطوتين...
وأنا اتعلم في كل مرة.
كيف أكون أنا، وسط هذا التمزق الصامت.
ورغم كل هذا الصخب بين العقل والقلب...
رغم كل هذا الشد الذي أنهكني حتى حدودي...
أشعر الآن أن التعب صار ألين...
وأن الضجيج بدا يتعب هو الآخر من الصراخ الذي بداخلي...
لم أنتصر ولم أهزم...
لكنني فهمت شيئا واحدا أخيرا:
أن الصراع لا يخلق ليكسرنا...
بل ليعلمنا أن نقف حين تهتز أرواحنا...
أغمض عيني على بقايا عاصفتي...
بل لأهرب.
بل لأفسح في داخلي مكانا لسكينة خجولة تطرق الباب بتردد.
لأتعلم أخيرا كيف أواجه نفسي كل يوم، وكيف أعيش معها بانفراد تام، حينما تكون الوحدة خياري المريح دوما...
وكأن الروح، بعد كل هذا العراك... تطلب فقط أن ترتاح...
وهنا يبدأ هدوء ما بعد العاصفة.

هدوء ما بعد العاصفة...

حينما تهدأ روحك أخيرا، وينتهي ذلك السيناريو المتعب، والأحداث المتوالية، وكل تلك الضغوط التي مررت بها، لكن وأخيرا يقرر القدر أن يمنحك استراحة محارب، وسط فوضى هذا الوجود المربك.

حينما تبدأ في عيش حياتك البطيئة بأسلوبك الخاص أخيرا...

عندما تأتي الحلقة الأخيرة من الفيلم الخاص بك... ويبدأ الجزء الثاني الهادئ منه.

ما زلت أشعر بالسعادة والاكتفاء التام، حتى بعد الكثير من الخسارات في طريقي.

وأخيرا هدوء ما بعد العاصفة... سكينة الروح... صمت العقل... وتوهج القلب... اتجاه كل ما يحيط بي.

عندما تقرر ذاتك... أن تعالج بقايا جروحك النفسية قبل الجسدية.

بعض الندبات ستبقى مهما مضى عليها الزمن...

لكنني تعلمت أن القوة الحقيقية ليست في النفي والانكار، بل أن تعيش بسعادة وكأنك للتو ولدت...

وفي كل مرة وبعدها: «تكسر فيها الروح وتجرح فيها».

يمكن للإنسان أن يعالج جروحه وندباته ويتخلص من الألم...
لكن قد لا يستطيع أن يعيش الحياة بنفس الرؤية السابقة لها...
وهنا تكمن المشكلة...»قمة الوعي».

أن تستقبل الحياة كلها بنظرة جديدة وشعور جديد تماما، لكنه غريب.

أن تصبح فجأة ممتنا لكل شيء يحدث في حياتك...
ممتنا حتى للحظاتك وأوقاتك الصعبة والتعيسة.
ممتنا لكل لحظاتك السعيدة رغم بساطتها...
ممتنا لوجودك في هذه الحياة...
ذلك الثبات الذي يكتسحك يوما...

تلك اللحظة التي تقرر فيها أخيرا أن ترحم نفسك من اعتقادات البشر...

ذاك الهدوء الذي يأتيك فجأة بعد ألف صراع... كأنها الحلقة الأخيرة من سلسلة الحياة...

لم يعد قلبي يركض...
ولا عقلي يصرخ...
كأن العاصفة حين غادرت...
أخذت معها حاجتي لان أفسر كل شيء...
في هذا الهدوء...

لا توجد إجابات كاملة...
لكن توجد طمأنينة صغيرة...
تكفي أن أتنفس دون خوف...
تعلمت أن بعض النجاة...
لا تأتي على هيئة فرح...
بل على هيئة سكون...
لا يؤلم...
وهنا، حيث لا صراع،
ولا دفاع،
ولا حاجة لأن أكون أكثر مما أنا عليه...
أضع كلمتي الأخيرة...
وأترك روحي...
تستريح...
لم تنته العاصفة تماما...
لكنها تعبت...
وأنا تعبت معها...
في هذا الهدوء...
ما زالت أثار الريح على قلبي...
غير أن الألم لم يعد يطالبني بشيء...

اكتفى أن يكون مجرد ذكرى...
أغلق الصفحة...
لا لأنني شفيت...
بل لأنني تعلمت...
كيف أعيش دون أن أنزف بصوت عالٍ...

الفصل الثالث

«لحن المشاعر»

«من عمق الحزن والاضطراب يولد اللحن الأصدق،
سيمفونية الروح التي تعزف أسرار وجودها»

ذكرى عيد الحب...

دموع ساخنة غزيرة، ناتجة عن فيضان كبير من جوانب القلوب المتروكة، لقد كانت كقطرات الندى الدافئة على أوراق الوردة.

تلك الذكرى التي مهما طالت ومهما مر عليها من شهور وسنين... تبقى تلك الصورة التي رسمتها على وجتني، الرمال الباردة هي الحدث الفارق، وفاصل حياتها بين الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد كانت أمنية تلك الطفلة الهادئة أن تعود إلى منزلها... إلى حيث تنتمي... إلى لحظاتها الآمنة... إلى كل لحظة آلمت بي وجمعتني بمظلومي، وقدري الجميل الذي اتهمته عبثا...ومن دون قصد حتى.

لقد كانت تريد فقط العودة إلى نقطة الأمان، الركيزة التي حولتها من الظلمات إلى النور، وفتحت عينيها الشاقيتين لترى العالم بفسحته المشرقة المضيئة.

هكذا تحيي الشمس تلك البحيرة التي أحبتها يوما... لكنها للأسف قد أحرقتها وجف ما فيها من مياه غديرة من كثرة ما أنرتها.

هكذا هو ذلك الشهر الفاصل الذي ولدت فيه، وقد لمحت فيه أكسجين الحب، والاهتمام من شخص قد أحببته صدقا، وما زالت على ذلك... مهما توالت صفحات الزمن، سيظل في ذاكرتها المحفوظة، وهو نفس الشهر الذي لمحت فيه وجه الموت لأول مرة «مرارة الحزن والندم بين كل دقائق الأثير».

لقد ظمئت تلك الروح الخافتة يومها، كلما استذكرت تلك الأفكار والخواطر التي ربطتها بأيام معدودة قصيرة.

وبعد ذلك استفاقت من حلم اليقظة الذي أرهقها باستماتة، وجعلها تعطش باستمرار لا مبالي.

الملجأ الموازي

ذلك الملجأ الذي نجده في بعض المنحدرات الموازية... حين تكون أرواحنا مرهقة... ذلك الملجأ هو تلك الفتحة المشرقة في قلوب من أحبونا بكل جوارحهم، وأفاقوا فجر الحب لأجلنا.

حتما سنلجأ إليهم عندما تثخننا الحياة.

من يتفهمنا، ويستمع إلى تفاصيلنا، ويحتضن أحاديثنا التافهة، وعشوائيتنا في الحديث...

إلى الأخت التي لم تلدها أمي... لكنها أختي... تلك الجوهرة التي أهدتني إياها الحياة... إلى من يقرأ تعابير وجهي، ويفهم صراعي الداخلي دون أن أنبس بكلمة واحدة، فتداويني بكلمة واحدة.

كنت كلما ازددت زجرا وجلدا لذاتي المنهمرة كسيل العرم... أرى ضوءا خافتا في المنعرجات المهجورة التي مللت منها طويلا...

نعمة عظيمة حين يرزقك الله شخصا يشبهك... مثيلا لك... يحبك بصدق، ولو كان واحدا بين كل سكان العالم... فأنت لن ترى غيره، لأنه الشخص الوحيد الذي تستطيع الاتكاء عليه دون أدنى شك بأنه سيتركك...

الملجأ الموازي...
هو الشخص الذي لا ينقذك...
لكنه يجلس إلى جوارك...
حتى يهدأ الألم وحده...
وجوده لم يغير العالم...
جعل احتماله ممكنا...
كنت أعود إليه...
لا هربا من الآخرين...
بل هربا من نفسي حين تثقلها الأيام...
الملجأ الموازي...
هو أن تجد شخصا...
لا ينقذك من العاصفة...
لكنك لا تخافها...
ما دام هناك...

روح خافتة

تلك الروح التي دائما تختفي بين الزوايا... تلك القطرة اللطيفة التي تداعب أوراق الأشجار في عز الصقيع... تلك النقاط الصامتة التي تحتل أحيانا بعض صفحات قصتنا... حينما لا نقدر على التعبير... أو حتى الاستمرار.

تلك الروح هي نفس الفتاة الغامضة التي تحب أدق تفاصيلها... بعيدة عن الحضور... غارقة في أوصال عالمها البنفسجي.

خصلات شعرها البني وضحكتها التي تظهر دوما... مهما بدا عليها الحزن في بعض الأحيان... وأناملها المبدعة، فتنسج الخواطر ما قل ودل...

لقد رمت كل ما كان في يدها... متناسية ما حل في ماضيها...

وتوالت الأيام تمر ببطء السلحفاة وهي في سرج الفاني.

حتى افتكرت ما فعلت من ذنوب، وأمامها كل ذكرى تخصها.

فدمعت وجنتاها راجية إفشاء السلام... وما نفع ندبها وانتحابها.

إن ما رفضته سابقا قد ذهب... ولن يعود ذاك الزمن.

وهكذا قد ذهبت سرا في صدر الأرض... تفيض بكثافة مع من يشبهها... لكنها تتعمد الجفاف في كل مكان لا يلائمها...

هكذا أضعف القنوط بصيرتها يوما ما... فأصبحت لا ترى

غير أشباح رهيبة... فأشعلت، وفي حين غرة شعلة السراج التهبت أمام الرياح المهولة...

كالفراشة التي تظل ترفرف حول السراج حتى تحترق... هي أسمى من الخلد الذي يعيش براحة وسلامة في نفقه المظلم...

والنواة التي لا تحتمل برد الشتاء، وثورات العناصر لن تقوى على شق الأرض ولن تفرح بجمال النسيان...

وهكذا قد خلد سجل تلك الروح في الذاكرة الأبدية وإلى الأبد.

لقد كانت روحا خافتة...
تمشي على أطراف شعورها...
كي لا تزعج العالم بثقلها...
تعلمت أن تخفي نفسها...
كما تخفي الأشياء الثمينة...
ليس خوفا من الفقد...
بل تعبا من التفسير.
لا تطلب النجاة...
ولا تلوح بألمها...
تؤمن أن الصمت أحيانا...
أصدق من ألف اعتراف.
لم تخفت لأنها ضعفت...
بل لأنها اختارت...
ألا تحترق أمام الجميع.

الفصل الرابع

«نداء الذات العليا»

«صراع الروح للنجاة من العتمة، حين توقد جذوة النداء
لتضيء سر الأصالة الكامن في طيات الذات العليا»

الطائر الجريح

بين طوابير الحظ التعيس، يطير الطائر الجامح بأجنحة مرممة بين مروج السماء الصافية الزرقاء، كصفحة بيضاء خالية في كتاب الكيان... ذلك العصفور الذي يحمل قالبا زهريا بنفسجيا فتانا، كجوهرة غارقة في قاع البحار.

لقد جرح أحد جناحيه بين مكر الغيوم السوداء... ما كان له من خيار سوى السقوط في عتمة الليل الحالكة المظلمة.

إن النفس الحزينة، المتألمة، الذابلة، كالطائر الجريح الذي يحاول جاهدا أن يرفرف، ويعلو ليبلغ سدرة المنتهى حيث السلام والسرحان... لكن دون جدوى، حتى يجد نفسه في ظلمة القبر، بين كفتي الميزان المبين.

يتذكر كل ذكرى حزينة وجميلة ألمّت به، كسيناريو معروض على خشبة المسرح.

حين تتوق إلى نعمة لا تعرف لها اسما، وحين تشتاق للعودة إلى وجهة مجهولة، فتنقطع بك السبل، وتمنع من السير إلى الوجهة المطلوبة.

هكذا هي وقصصها المعهودة، وهكذا هي تلك الروح الخافتة وبراءتها ومخاوفها.

كانت دائما كالطائر الجريح الرفراف، الذي مهما علت به الأرض وأعلنت السماء فرجها عليه، إلا وعاد حتما ليكون سرا غامضا في صدر الأرض، لا يكاد يبلغ ذروة الأفق حتى يجد نفسه طريحا على بساط أرض التجارب.

كان طائرا اعتاد التحليق على مهل، لا لأنه يخشى السماء، بل لأنه يصغي لما في داخله قبل أن يفتح جناحيه.

مر بمحطات كثيرة، وتعلم أن بعض الرياح لا تقاوم، بل تفهم، وأن السقوط أحيانا طريقة أخرى لمعرفة الاتجاه.

كان يقف طويلا على الأغصان، يراقب، يتأمل، ويجمع من الصمت ما يكفي ليصنع منه جناحين جديدين.

لم يكن كما كان، لكنه لم يكن أقل منه أيضا، كان أكثر امتلاءً، أكثر وعيا، وأكثر قربا من ذاته.

شيئا فشيئا، تغير صوته، لا لأنه ارتفع، بل لأنه صار أصدق، وتبدلت خطواته، لا لأنها أسرع، بل لأنها صارت واثقة.

حتى الطيران لم يعد اندفاعا، بل اختيارا هادئا.

وحين عاد إلى السماء، لم يفعل ذلك ليثبت شيئا، بل ليجيب نداءً داخليا طال انتظاره. صار يحلق بخفة من يعرف أن الامتلاء لا يرى، وأن التحول الحقيقي يحدث في الأماكن التي لا يراها أحد.

مرحلة جديدة

إن أكثر النفوس لعنة، نفوس اعتقدت نفسها طاهرة بريئة.

حيثما وجد السقف، ثمة ضوء لعين، فاصل بين الأمس والحاضر، ذاك الأمس الذي تمنى فيه كل فرد منا أن يحظى ولو ببصيص أمل ونور في زنزانة أفكاره المرهقة، والحرب الدائمة بينه وبين نفسه.

ذاك اليوم الذي تغلبت فيه السحابة على رونق السماء بعد أن هددتها بالرحيل، وافترت أنها ستصبح قبيحة بدونها، ذاك السراب الذي أخاف السماء باختفاء السحاب على واجهتها ليفقدها بريقها ونسيمها الهادي.

بين الأمس والحاضر مرحلة جديدة، أفكار جديدة، نشوات جديدة، صفحة جديدة، لكن ما العمل حين يمر ذلك الفاصل كأنه عجوز في التسعين يتسلق جبالا شاهقة.

لطالما كان الخروج من تلك الزنازين أمر عسير لأنها أوطان المفكرين، معتقلين الفكرة والحدث.

لطالما كانت ملاجئهم الاضطرارية، وحقول قمحهم.

عندما تستقبلك زنزانة ما، فإنها تمد لك ذراعيها بداهة وهي تقول لك: إما أن تحبني أو تكرهني، فالحب والكره قضية شخصية، ولكن عليك أن تعتاد التعايش معها، مع سوط

أفكارك وخواطرك المتسلسلة اللامتناهية، لكن بالطبع أكثر ما يجيده الماضي هو مطاردتنا مهما حاولنا الهرب منه.

ثمة حلقة مفقودة، فالحياة أعقد بكثير من الاعتقاد بأننا رأينا واكتشفنا كل شيء.

ذاك الظل الذي يأخذك من موضع إلى موضع، من بكاء إلى ضحك، من غم إلى بعض من نسيم بارد منعش.

أكثر ما يتمناه أصحاب العقول الراجحة، هو الهرب بعيدا حيث لا يوجد كلمة اسمها الحياة.

هم بالطبع لم ولن يتحملوا تلك المعالم، وذلك السراب الخادع الذي فتن الجميع ببريقه السحري.

لقد تأرجحت نواياهم الحسنة وقلوبهم المخلصة بعيدا عن مسرح البشر...

تلك الفتاة التي أبحرت يوما في محيط الدموع.

تلك التي حملت غصة في قلبها، لكن لا بأس سيمر كل شيء في النهاية....

لكن كيف؟

ذاك السؤال الذي يتكرر بكثرة في مفكرتها، ترغب في الهروب لكن لا شيء يثبت لها صحة هروبها، تنوي الانعزال لكنها لا تستطيع، لقد أرادت حقا أن تبحر في عالمها الخاص، لكن الواقع يجذبها أكثر مما كانت تعتقد...

لا شيء أرهقها غير تلك الأفكار اللعينة، التي عطلت سير حياتها، وتلك الذكرى التي بقت معلقة في ذهنها الصغير، الذي لا يحتمل حتى أبجدية التفكير بسلاسة...

لا شيء يدمرك غير ذاك الاختيار، يخيرك بين منطوق لم يقصد ومقصود لم ينطق، وهكذا تكون قد ضيعت الكثير من المحبة والعطف.

لقد كانت تلك الأفكار وتلك المرحلة التي أقبلت عليها كصديق مزيف، كظل يمشي وراءها عندما تكون في الشمس، ويختفي عندما تكون في الظلام، قد غاصت في بحر لجي، في خربشات رواية البأس والضنك، لم تكن تريد ذلك بصدق ولكن ما العمل.

لم تكن تملك حتى خلايا سليمة تحذرها من هول الحدث.

إن أملها المتقد في ظلمات هذه الحياة هو أن تعطي انكسارها جبرا لكل مجروح، وضعفها قوة لكل ضعيف، وتعاستها سعادة لكل بائس، وأخيرا تريد فقط أن تخلد نسائجها الفكرية وأرائها إلى الأبد، بعد أن تغمض الحياة كاحلها وتنتقل إلى الملأ الأعلى...

ذنبها الوحيد أنها تشعر بكل ما يشعر به الآخرون في دواخلهم القفصية.

ذنبها الوحيد أنها أعطت روحها وكأنها لا تستحقها، تضامنا مع كل تلك الأرواح بحسنها وقبحها...

ذنبها الوحيد أنها صدقت ما قيل لها يوما ما...

النداء

«أن تعرف نفسك هو بداية الحكمة، وأن تحب نفسك هو بداية الحرية، أن تسامح نفسك هو بداية السلام الداخلي، وأن تكون نفسك هو قمة السعادة»

لم يكن صوتا يسمع...
كان إحساسا يتسلل حين يهدأ كل شيء.
كأن الروح، بعد طول صمت،
تذكرت اسمها ونادت به.
لم يطلب النداء تفسيرا،
ولا استعجالا،
كان يقول فقط: تعالي كما أنت،
بما بقي فيك، وبما تعلمته في الطريق.
شيئا فشيئا، صار الطريق أوضح
لا لأن الأسئلة اختفت،
بل لان الثقة بدأت تنمو مكانها.
وأدركت أن بعض الدعوات...
لا تأتي لتغير العالم،
بل لتعيدنا إلى أنفسنا.

النداء لم يكن بداية جديدة،
كان عودة هادئة،
عودة إلى ذات لم تضع،
بل انتظرت طويلا أن تسمع.
لم نأت لهذه الحياة سدى، ولم يخلق الإنسان عبثا.
خلقنا للعبادة وفي العبادة أشياء كثيرة لا تعد ولا تحصى.
النداء لا يأتيك مرة وأحدة بل مرات عديدة.
إن في ذاتنا نفخة روح، جزء من أصل هذا الكون.
لن نعرف حقيقتنا إلا إذا عقدنا العزم على أنفسنا.
أن نراجع كل خطوة نخطوها.
أن نرى أنفسنا في الحقيقة وبدون أقنعة.
كان النداء يتكرر على مسامعي، كلما ابتعدت خطوة أكثر عن جوهري الحقيقي.
علّمني البشر أن كل ما أحتاجه كان يسكن في نفسي منذ البداية.
رغم أني فقدت نفسي مرات عدة، لكنني كنت أعود دوما بعد كل انتكاسة.
حين ينشغل الإنسان بإصلاح ذاته العميقة، فهو يسلك دربا خفيا لا يراه الكثيرون، لكنه أصدق دروب التقدم.
إنها تلبية للنداء.

فليس التقدم في كثرة الإنجازات ولا في صعود المناصب.

بل في تهذيب النفس، وضبط العاطفة، وتربية الإرادة.

هو أن تنمي قوتك بصمت، وتحتوي ضعفك بوعي، وتتعامل مع نفسك كأعظم مشروع يستحق العناية والوقت.

ذلك هو جوهر النضج، ولب التحول الحقيقي، وحقيقة نداء الذات العليا.

الفصل الخامس

في زوايا الذاكرة

«بعض الذكريات لا تشيخ، بل تتوارى في صمت ناعم
كالغبار على رف القلب»

بين الماضي والحاضر...

لماذا نسميه ماض ونحن لا نزال نتذكره؟

اشتقت لكوني طفلة صغيرة تجري بكل عفوية في أحد الأروقة، وتلعب وحدها في بيتها، أو في الخارج.

لا تحمل هما قط.

لماذا أشتاق باستمرار إلى صغري؟

لماذا أرفض التقدم في العمر؟

لماذا أصبحت أُفضِّل كل ماض جميل، رغم أنه كان يبدو لي عاديا جدا حينها؟

لماذا صرت أحسن إلى كل لحظاتي الجميلة بالثناء والحمد حتى بعد فوات أوانها؟

في مراحل نمو الإنسان تأتي مرحلة عليه يحن فيها إلى كل أشيائه ولحظاته السابقة، إلى الأشخاص والأماكن وإلى عبق الماضي، حيث لن يعود أدراجه مرة ثانية، وربما هو عالق في مكان ما أو في عالم لا يوجد فيه الزمان ولا المكان.

لماذا لا تزال الذكريات تعيش بداخلنا رغم أن الدهر مضى عليها وانتهى كل شيء؟

لماذا تبقى فينا حياة أخرى غير التي نعيشها اليوم؟

بعد كل مرحلة أنتقل منها إلى مرحلة أخرى، لا أستطيع أن أعيش نفس الشعور. ما عشته سابقا وماكنت خائفة منه سابقا، أصبح تفاهة اليوم بالنسبة لي.

يحتار الإنسان كيف أنه ينتقل من موقف إلى موقف، من عالم إلى عالم ومن حياة إلى حياة أخرى.

التغيير لا يحدث فجأة لكنه يحدث من دون أن نشعر.

الماضي لا يمر.

هو يقيم فينا ثم يتخفى على هيئة ذكرى.

كلما ظننت أن الحاضر اكتمل،

عاد الماضي ليهمس:

كنت هنا... وكنت جزءا منك.

أشتاق إليه

لا لأنه أجمل فقط،

بل لأنه كان أبسط.

كانت الأيام أخف.

وكان القلب يصدق كل شيء دون تردد.

أما الحاضر،

فهو محاولة مستمرة للفهم،

أن اتعلم كيف أعيش،

دون أن أفتش في الأمس عن نفسي،
ودون أن أخاف الغد
أقف بين زمنين،
أحمل الماضي بحنان...
لا لأعود إليه،
بل لأشكره على ما علمني.
وأمضي في الحاضر...
بقلب ما زال يحن...
لكنه يعرف،
أن بعض الأزمنة لا تعود،
وإن بقيت فينا إلى الأبد.

همس الطفولة

وأنا أرتب في أوراقي ومذكراتي لسنواتي الأخيرة، عثرت على مذكرات السنة الفارطة، وأول صفحة فيها كانت صورتي وأنا أبلغ من العمر أربع سنوات.

بدا لي غريبا من الوهلة الأولى، أن هذه الطفلة الصغيرة المرحة هي أنا...

تغيرنا الحياة كثيرا، حتى ملامحنا لن تبدو كما كانت في الصغر.

رأيت في عينيها لذة الشعور بالحياة وبكل شيء يحيط بها...

لحسن الحظ أن روح تلك الطفلة لا تزال تسكن بداخلي، لكنها بداخلي عميقا، أحميها من شراسة الواقع واستغلال البشر لها.

كانت طفلة تشبه الضوء حين يتسلل خجولا من نافذة الصباح.

تضحك للأشياء الصغيرة، وتخاف من أشياء لا ترى،

تحمل قلبا أكبر من عمرها،

وتظن أن العالم طيب، فقط لأنه لم يؤذها بعد.

كانت تمشي بخطوات قصيرة،

لكن أحلامها كانت طويلة حد السماء.

تؤمن أن كل ما يكسر يمكن إصلاحه،

وأن الحزن ضيف عابر لا يجيد البقاء.
كانت تنظر للعالم بعيون واسعة،
كأنها تخاف أن يفوتها شيء جميل.
تخزن اللحظات في قلبها،
ولا تعلم أن بعضها سيعود يوما... كحنين موجع.
طفلة كانت تظن أن الصمت أمان،
وأن الاختباء في الخيال نجاة،
لم تكن تعرف أن الكبر،
هو أن تتعلم كيف تحمي تلك الطفلة فيك.
كبرت،
لكنها لم تكبر معي،
ما زالت هناك،
تنتظر يدا تربت على رأسها،
وتقول لها:
«لم يكن ذنبك... كنت فقط طفلة»

الذكرى الأخيرة

صوت النهاية الأخير

الذكريات تبقى عالقة في هذا الكون، في عبق الماضي، ثنايا الحاضر وآمال المستقبل، لا نراها لكنها موجودة في أعماقنا هنا وهناك.

إنها تطارد كياناتها بألحانها السعيدة والحزينة أينما ذهبنا وارتحلنا.

نظن أنها مضت، والحقيقة أننا نحن من يمضي وينتهي، وتبقى هي متحدية المكان والزمان لآخر الكون، تعزف من جديد لغيرنا وتردد أحاسيس سيمفونيتها بدون ملل.

نحن بطبيعتنا البشرية نرفض الألم بكل أنواعه، رغم أنه جزء لا يتجزأ من الحياة... عنصر أساسي من عناصر الطبيعة النفسية وكذلك الذكرى.

نهرب من الذكرى وكأنها سفاح يقتل أشلاء قلوبنا بالبكاء والحنين الصامت، نرفض المواجهة، نرفض أن نواجه حقيقة ذواتنا أو أن نرى ضعفنا.

كانت تلك الذكرى الأخيرة صامتة، لم تعلن نفسها عند القدوم.

جاءت كما تأتي الريح الخفيفة، تمر دون أن تسمع،
لكنها حملت معها كل ما لم يقل،
كل الهمسات التي تركت في الهواء،
كل الابتسامات التي لم تكتمل،
كل الحكايات التي توقفت عند منتصف الطريق.
جلست في الزاوية التي كنت أعرفها جيدا،
لا تطلب حضورا، ولا تحاول البقاء،
لكنها وضعت يديها على قلبي،
كأنها تعرف أنني سأفتقدها قبل أن تذهب.
تذكرت الأشياء الصغيرة:
لون السماء حين كانت ترسم علينا أمانها،
رائحة المطر الأولى بعد الصيف الطويل،
كلمات لم تقل ولم تسمع،
لكنها بقيت محفورة في داخلي...
الذكرى الأخيرة لم تترك حزنا،
ولا فرحا مكتملا،
تركت مساحة خالية،
تسألني برفق: هل بقي شيء منا هنا؟
وهكذا، وأنا ابحث عن نفسي،

أدرك أن بعض الأشياء لا تستعاد...
بل تحتفظ بها كهدية صامتة للروح،
لتعلمنا أن النهاية ليست نهاية،
وأن كل وداع يحمل بدايات جديدة...
حتى لو لم ندركها بعد.

الفصل السادس

تأملات فكرية

«تلك الكتب التي أنقذتني يوما من جحيم الجهل، في أول صفحة
فتحتها من كتاب، أنيرت بصيرتي يومها»

الكتاب خير جليس

لم تكن الكتب يوما مجرد حكايات أقرؤها، كانت مرايا صامتة أرى فيها أفكاري لأول مرة بوضوح، كل صفحة فتحتها لم تضف شيئا للعالم فقط، بل نزعت من جهلي شيئا، وتركتني أكثر تساؤلا، وأكثر وعيا...

تلك الكتب التي كانت مجرد كتب فقط في حياتي العادية، إلى أن جاء يوم فتحت فيه الكتاب، وكان بمثابة شعلة أنارت حياتي كلها، وغيرت طريقة تفكيري تماما، كانت كعوالم أهرب إليها حين تقتلني حقيقة الواقع، أجول بين الأماكن التي اقرأ عليها، وكأنها بوابات تنقلني من مكان إلى مكان آخر.

لم تترك الكتب في يدي معرفة فقط، تركت داخلي ارتباكا جميلا عن نفسي، وعن البشر، وعن العالم كيف يسير؟

لقد علمتني أن الحقيقة واحدة، وأن الاختلاف لا يعني الخطأ، وأن القراءة كانت حوارا صامتا بيني وبين نفسي...

لم يكن الفهم يوما طريقا سهلا،
كنت أظنه نورا خالصا،
ثم اكتشفت أنه أحيانا عبء نختاره بوعي...
أن تفهم يعني أن تتخلى عن راحة الجهل،
وأن ترى الأشياء كما هي، لا كما تتمنى أن تكون.

كبرت تلك الأسئلة التي أثارتها الكتب بداخلي يومها،
كانت أسئلة لا تبحث عن نهاية،
بل عن صدق في الرحلة.
كلما اعتقدت أنني وصلت،
أعادني سؤال بسيط إلى نقطة أعمق...
كأن الوعي لا يمنح الطمأنينة،
بل يمنح الشجاعة للاستمرار رغم الغموض.
الكتب التي مرت في حياتي لم تكن مجرد أوراق،
كانت حوارات صامتة...
كل كتاب ترك في داخلي أثرا مختلفا...
ارتباكا، وعيا، أو انكسارا أو فكرة كنت أؤمن بها...
تعلمت منها أن الحقيقة متعددة،
وأن الاختلاف ليس تهديدا،
بل دليل حياة.
وحين حاول العقل أن يقود وحده،
تعب القلب من كثرة التحليل،
وحين اندفع القلب،
تعثر العقل في محاولته للفهم،
وفي المسافة التي بينهما،

كنت أتعلم أن التوازن ليس انتصارا، بل إصغاءً كليّ للآخر.
وفي لحظات الصمت،
فهمت أكثر مما فهمته بالكلمات،
كانت قراءتي للكتب تفي بالغرض،
تصف شعوري وتملأ صدري.
راحة الفهم بأن شعوري ورغبتي فهمت فيها.
اكتشفت أن الضجيج لا يأتي دائما من الخارج،
وأن بعض الإجابات لا تقال بل تحس.
وهكذا لم تعلمني التأملات الفكرية كيف أجد الحقيقة، بل كيف أعيش مع أسئلتي بسلام.
شيئا ما تغير في داخلي،
بل داخلي تغير بأكمله...
يوم بدأت أقرأ الكتب،
وأسبح في كياناتها،
سكنت روحي وصرت أكثر هدوءًا،
صرت أرى العالم بعدسة مختلفة جدا،
وجدت أخيرا ما يميزني... ما يجعلني أشعر بنفسي وباختلافي،
أعرف ما الذي أحبه،
وأجيد كل ما أفعله.

كل منها علمني قيمة معينة...
بعضهم أراني المفاهيم الصحيحة لأبجديات الشعور والتفكير...
علمتني الكتب أن اللغة ليست كلمات ترص،
بل أرواح تتخفي بين السطور...
علمتني أن البلاغة ليست زينة للمعنى،
بل قدرته على الوصول دون أن يجرح،
وأن الكلمة حين تحسن اختيارها،
تستطيع أن تهدئ، أن توقظ،
أو أن تترك أثرا لا يمحى.
علمتني الكتب أن التفكير ليس حفظا،
بل رحلة شك وبحث طويل،
وأن المعاني العميقة لا تمنح دفعة واحدة،
بل تفهم على مهل.
كلما نضج القارئ، نضج النص معه.
ومن بين كثرة الكتب،
تعلمت أن لكل كلمة وزنا،
ولكل فكرة مسؤولية،
وأن الكتابة ليست امتلاء اللغة، بل احترامها.
إنها تلك الموهبة الفنية التي رحمني بها القدر، يوم كانت

المشاعر والأفكار تضطرب في قلبي وعقلي...
لهذا كل كتاب مر بي،
لم يضف إلى رفوف مكتبي فقط،
بل أضاف إلى داخلي وعيا جديدا،
وترك في روحي أثرا لا يرى،
لكن يشعر به.

أنين الحروف

حين تعجز أوتار القلب عن العزف وتنتهي بنا سمفونية الحياة في منتصف الطريق،

فنترك المجال للكلمة والحروف، حتى ترتص ببعضها البعض فتصدر أنينا يصرخ بما بداخلنا، عند كل تلك النقاط المبهمة، والمشاعر التي تجاوزناها عمدا، فقط كي لا نتعثر، وحتى نواصل المسير إلى وجهتنا المطلوبة.

لم تكن تكتب لتقنع أحدا،
ولا لتشرح ما عجز عنه الكلام،
كانت تكتب لأن الحروف وحدها،
تسمع الأنين حين يعجز الصوت.
في داخلها جمل كثيرة،
تأخرت عن مواعيدها...
ومشاعر نضجت بعد أن أغلقت الأبواب،
فلم تجد طريقها إلا إلى الورق.
كانت تعرف أن بعض الكلمات،
لو قيلت في وقتها لغيرت أشياء كثيرة،
لكنها جاءت متأخرة،

ثقيلة، متعبة، تبحث فقط عن مخرج.
الحروف عندها لا تولد جميلة،
تولد مرتجفة،
كأنها خارجة من صدر أنهكه الصمت.
وكأن الكتابة ليست فعل اختياري،
بل محاولة أخيرة للتنفس.
كم مرة أرادت أن تصمت،
لكن الجملة ألحّت...
وكم مرة حاولت الهروب،
فأمسكها القلم من يدها وقال:
«اكتبي... حتى لا تنكسري».
هنا في هذا الركن،
لا توجد اعترافات كاملة،
ولا حكايات واضحة،
بل أنين خافت،
لحروف لم تجد من يحتمل ثقلها.
كان في داخلها شعور لا يبحث عن الخلاص،
بل عن تفسير لما يحدث في أعماق الإنسان، حين يفهم أكثر مما يحتمل.

لم تكن الأسئلة جديدة،
لكنها صارت أثقل،
كأن الوعي نفسه عبء،
لا يمنح إلا لمن قدر له أن يتألم بصمت.
وحين ضاقت بها نفسها،
لم تهرب إلى البشر،
بل إلى الكتب،
لا لأنها كانت تمنح الطمأنينة،
بل لأنها كانت تقول لها بصدق قاس:
«أنت لست وحدك».
بين الصفحات،
وجدت وجوها تشبهها،
أرواحا متعبة،
عقولا أنهكتها الأسئلة ذاتها،
وأناسا عاشوا الصراع نفسه...
لكنهم تجرؤوا على الاعتراف به.
كانت الكتب تربكها أحيانا،
تفتح جراحا ظنتها مغلقة،
وتضعها وجها لوجه،

أمام حقيقتها دون تلطيف.
حينئذ أدركت،
أن الحروف لا تئن لأنها عاجزة،
بل لأنها تحمل وعيا زائدا عن طاقة الفؤاد.
وأن بعض المعرفة،
لا تمنح السلام،
بل تمنح الصدق.
فصارت تقرأ لا لتفهم العالم،
بل لتفهم نفسها.
ولتدرك أن الوجع،
حين يشاركك فيه عقل آخر،
يصبح أقل وحدة،
وإن لم يصبح أقل ألما.
لم تكن الكتب يوما مهربا،
بل مواجهة مؤجلة.
كل صفحة كانت تسأل أكثر مما يجيب،
وتترك في النفس أثرا يشبه اليقظة المِؤلمة.
تعلمت أن بعض العقول،
لم تخلق للطمأنينة السهلة.

وأن التفكير العميق،
ليس نعمة خالصة،
ولا لعنة كاملة،
بل عبء من يفهم أكثر مما ينبغي.
وهكذا بدأت التأملات،
لا بحثا عن حقيقة نهائية،
بل محاولة صادقة،
لترتيب هذا الفائض من الوعي...
ولفهم الإنسان،
قبل فهم العالم...

الفصل السابع

رسائل لنفسي

«عند حافة الذكرى، يقبع ريح الود للنفس، وما أحلى
حب الذات للذات»

الرسالة الأولى: إلى التي كنتها...

إنني أكتب إليك الآن،
رغم مرور الزمن،
ورغم ذلك الفاصل الكبير الذي نشأ بيننا.
لا أكتب لأنني صرت أقوى منك،
بل لأنني فهمت.
فهمت أن بعض النسخ منا،
لا تحتاج إنقاذا،
لأنها حاولت بقدر ما استطاعت.
أنت النسخة التي كنت أحتاجها،
لأصبح ما أنا عليه الآن.
لا أنكرك،
وإن اختلفنا.
بل أشكرك،
لأنك كنت الحافز،
والدافع،
والحجة التي جعلتني أتغير.
لست أكرهك،

وعيب أن يكره الإنسان ذاته القديمة.
نحن لا نكرهها،
بل نسامحها،
لأن وقتها لم تكن تدرك،
وكانت تحتاج مزيدا من الوعي والخبرة.
نحن نصقل مع مرور الزمن،
ومع مرور السنوات سنتغير كثيرا:
سنحب ما كنا نكره،
ونكره ما كنا نحب،
وسننسى ما تعلقنا به يوما.
وفي لحظة ما أدركت،
أنني لم أكن أحتاج النجاة،
بل الفهم.
فهم أن السقوط لم يكن نهاية،
وأن القسوة التي مررنا بها،
لم تخلق لتكسرنا،
بل لتعيد ترتيبنا من الداخل.

اليوم لا أبحث عنك لأعاتبك،
ولا لألوم تلك الطفلة التي كنتها،
بل لأضمها بهدوء،
وأقول لها:
لقد عبرنا... ولو بتعب.
وسط هذا الوجود المربك،
كنا أنا وأنت فقط،
وبنينا عالمنا الداخلي خطوة خطوة.
لم يكن أحد بجانبنا،
سوى أنفسنا،
وهذا كاف.
أنت تستحقين،
وأنا أستحق،
أن أمنحك رحيق الكلمات،
لأنك موجودة بداخلي دوما.
إلى نفسي السابقة،
لك كل الحب،
وكل الاحترام.

الرسالة الثانية: صراع الذات الأثيرية

في زمن تصادمت فيه القيم والمبادئ بشدة...
في لحظات الضعف والانهيار، في لحظة الشك.
لم يكن الصراع واضحا بما يكفي لأسميه،
ولا عنيفا لأهرب منه.
كان خافتا،
يسكن بين فكرة أعرف صوابها،
وشعور يرفض أن يطيع.
كنت أعيش في منطقة رمادية،
لا أنا مطمئنة تماما،
ولا أنا ضائعة كليا.
العقل يشدني إلى الاتزان،
والقلب يصر على أن الفهم وحده لا يكفي.
في داخلي صوتان لا يتخاصمان،
لكنهما لا يتفقان أيضا.
أحدهما يطلب الهدوء،
والآخر يطلب المعنى.
وأنا... أقف بينهما،

أحاول ألا أفقد نفسي وأنا أبحث عنها.
كنت أظن أن الحسم سينقذني،
أن اختيار جهة واحدة،
سينهي هذا التمزق الهادئ.
لكني تعلمت، مع الوقت،
أن بعض الصراعات،
لا تحل...
بل تفهم.
فهمت أن الذات الأثيرية،
لا تحب الإجابات الجاهزة،
ولا تطمئن للقرارات السريعة.
هي تحتاج زمنا،
وصمتا،
ومساحة لتخطئ دون أن تدان.
في خضم هذا الصراع،
لم أكن أضعف،
كنت أتعقل.
ولم أكن أضيع،
كنت أعيد ترتيب بوصلتي الداخلية.
واليوم،

لا أقول إن الصراع انتهى،
لكنه لم يعد يخيفني.
صار جزءا من نضجي،
دليلا على أنني أسمع نفسي،
حتى حين لا أفهمها تماما.
وفي النهاية، لم أعد أبحث عن حسم ينهي هذا التناقض،
بل عن وعي يحتمله.
أدركت أن الاجتماع بين العقل والقلب،
ليس معركة تحسم،
بل رحلة تفهم مع الوقت.
ما زالت الأسئلة ترافقني،
لكنها لم تعد تربكني،
وصرت أرى في هذا الصراع،
دليل حياة،
لا علامة ضعف.
أمضي الآن،
وأنا أعرف أن التناقض جزء من تكويني،
وأن اكتمالي،
لا يكون بزواله،
بل بقدرتي على السير معه.

الرسالة الثالثة: وفي نهاية المطاف...

وفي نهاية المطاف،
بعد سلسلة طويلة من الأحداث التي لم أختر توقيتها،
ولا شكلها،
ولا أثارها،
أدركت أن الحياة لا تغلق أبوابها دفعة واحدة،
بل تطفئ الأشياء فينا تدريجيا،
إلى أن نصحو يوما ونكتشف أن الضجيج الذي اعتدناه قد اختفى.
مرت العواصف،
بعضها اقتلعني من جذوري،
وبعضها علمني كيف أتشبث بنفسي أكثر.
مر أشخاص ظننت وجودهم دائما،
ثم انسحبوا كما لو أنهم أدوا دورهم وانتهى المشهد،
من دون تفسير،
ومن دون وداع واضح.
ومع كل رحيل،

كنت أظن أن شيئا مني يضيع،
لكن الحقيقة كانت أعمق من ذلك:
كان يُزال فقط ما لم يعد قادرا على الاستمرار معي.
تغيرت الأحوال،
تبدلت المشاعر،
وانكسرت تصورات كثيرة كنت أتشبث بها،
لا لأنها صحيحة،
بل لأنها مألوفة.
وفي لحظة ما،
حين هدأت كل الأصوات من حولي،
وحين لم يبق ما أقاومه،
ولا ما أتمسك به قسرا،
وجدت نفسي وحيدة،
لكن ليست الوحدة التي تخيف،
بل تلك التي تكشف.
هناك،
في ذلك الفراغ النظيف،
فهمت أن النهاية لم تكن في فقد الأشخاص،
ولا في تغير الظروف،

بل في سقوط النسخة التي كنت أعيش بها،
النسخة التي كانت تحتاج الجميع لتشعر بالثبات.
اليوم،
بعد أن اطفأت الأحداث،
وبعد أن هدأت العواصف،
لم يبق إلا أنا،
ليس كنجاة،
ولا كانتصار،
بل كحقيقة بسيطة لا يمكن الهروب منها.
وفي نهاية المطاف،
لم تأخذ الحياة مني كل شيء،
بل أعادتني إلى نفسي،
وهذا،
كان كافيا.

الرسالة الأخيرة

تمضي في دروب الحياة... تارة لك وتارة عليك، لكنك لا تشعر ما معنى أن يختنق المرء من نفسه، أن يعاقب نفسه، أن يشعر بأنه أخطاء الآخرين، أن يلحق به هذا الأذى الهائل، أن يصمت ولكنه يحترق من لهيب صمته، أن ينام ولكنه يموت في ساعات نومه.

أن يتجول بمفرده هادئا لكنه رغم ذلك لا يكف عن الحديث، أن تفقد الحياة وجهتها إليه ويعيش تائها...

ما أقسى أن يخسر الإنسان أمام نفسه،

أنا آسفة مجددا يا نفسي.

إنني أعتذر منك،

عن الطرق التي لم نمشها،

عن الأحلام التي وقفنا أمامها طويلا،

ثم عدنا أدراجنا خوفا أو تعبا أو ترددا.

وأعتذر عن بعض الأشخاص أيضا،

عن كل مرة أجبرتك على البقاء في مكان لا يخصك ولا ينادي باسمك...

ليس حبا في البقاء،

بل خوفا من الوحدة،

وخوفا من أن يبدو الرحيل قسوة،
لم أكن أملك شجاعتها آنذاك.
لم أكن أدرك أن بقائي نفسه كان عبئا ثقيلا عليهم...
أعتذر لكل اللحظات التي كان يفترض أن نعيشها بامتلاء،
لكننا عشناها بنصف قلب،
عن الفرح الذي أجلناه.
وعن الجرأة التي لم تأت في وقتها،
وعن النسخة التي كان يمكن أن نكونها،
لو آمنا بأنفسنا أكثر.
أعتذر لأنني صدقت أحيانا،
أن التأجيل أمان،
وأن الصبر يعني الصمت،
وأن النجاة تكفي ولو بلا حياة.
لكن،
رغم كل هذا،
لم يكن التحضير هروبا،
بل كان محاولة بطيئة للفهم،
وكان الخوف شكلا آخر من أشكال الحذر،
وكان التعب دليلا على أننا حاولنا،

حتى وإن لم نصل كما أردنا.
اليوم،
لا أكتب لأجل الندم،
بل لأجل الصفح عن كل ما فاتنا،
لأقول إن ما لم يتحقق لم يضع سدى،
وإن ما لم يعش، لم يلغ قدرتنا على العيش لاحقا.
أعتذر منك،
وأمد يدي لك،
لا لنعود إلى الوراء،
بل لنكمل الطريق بوعي أكبر،
وبرحمة لا تنقصنا بعد الآن.
هذه ليست نهاية،
بل اعتراف أخير،
وبه...
أغلق هذه الرسائل،
وأفتح نفسي على ما تبقى من العمر،
كما هي،
بكل ما فيها.

الفصل الثامن

عدسة الحقيقة

«كانت الحقيقة دوما أمامنا، لكننا كنا نرفض باستماتة رؤية حقيقة كل شيء في حياتنا، حتى أصبحنا معتقلي الفكرة، مسجونين بين قضبان الوهم، غارقين في سراب العاطفة، نأبى أن نواجه تلك الحقيقة»

انكسار الوهم الأول

لم يكن الأمر كاكتشاف مفاجئ،
بل كاستيقاظ الروح بعد ارتطام داخلي،
كأن شيئا ما أوقفني عن الجري،
وأجبرني أن أنظر.
رأيت كل شيء بعدسة أخرى،
الأصوات نفسها، الوجوه نفسها،
لكن المعنى تغير.
لم أعد أتذكر لماذا صدقت،
ولا لماذا تمسكت،
ولا لماذا منحت الأشياء حجما أكبر مما تستحق.
كان الوهم ينكسر بهدوء،
لا ضجيج، ولا فوضى،
فقط شعور بأنني أتعرف على العالم،
كما لو كانت هذه المرة الأولى،
الذاكرة لم تخفق،
لكنها توقفت عن خداعي.
هناك،

بين الدهشة والوعي،
فهمت أن بعض الصدمات،
لا تسقطنا،
بل تعيد ترتيب رؤيتنا،
وتتركنا أخف.
أصدق.
وأقرب لأنفسنا، مما كنا نظن.
فهمت أن بعض الحقيقة،
لن تقال، بل ترى، أو تُحسّ.
وأن ليس كل ما في هذا العالم حقيقي ومعاش.
لم يكن الندم يوما على ما أنا عليه الآن.
بل على مسارات كان يمكن للحياة أن تسلكها ولم تفعل.
أحلام وجدت، ثم تركت على عتبات التردد،
ربما لأنني لم أحط بالدعم،
أو ربما لأنني لم أغامر بما يكفي،
أو لأن الإصرار كان يتطلب قسوة على النفس لم أمتلكها آنذاك.
قيل لنا أن الأحلام تنال بالإرادة وحدها.
لكن الحقيقة أن تحقيقها يحتاج شيئا من الأنانية،
وتلك الأنانية لم تكن خياري،

لا ضعفا، بل وعيا بأن ثمنها قد يكون أثقل من الحلم ذاته.

لو عاد الزمن،

لغيرت أشياء كثيرة،

لا لأصل إلى نتيجة مختلفة بالضرورة،

بل لأصل إليها بقلب أكثر رضا،

فالإنسان لا يختار كل شيء في حياته،

ولا يستطيع أن يفعل كل ما يشتهي،

هناك عوامل لا تُهزم، وعقبات لا تُزال،

ومهما حاولنا، تبقى خارج سيطرتنا،

لكن الغريب أن تلك العوائق ذاتها،

قد تقودنا إلى ما لم يكن حلمنا يوما،

وحين نرى جانبه المضيء،

يغنينا عما فقدناه، وينسينا ما تمنيناه.

وفي النهاية،

ليس كل حلم لم يتحقق خسارة،

وليس كل وصول نجاة،

أحيانا يكون الحمد،

على ما لم يحدث،

أصدق من الفرح بما حدث.

حين لا تنقذنا المشاعر

حين ندرك أن القلب قد يكون أصدق أعضائنا، لكنه ليس أعقلها.

نمضي خلف الإحساس كما لو كان بوصلة لا تخطئ،

نمنحه حق القرار، ونغض الطرف عن إشارات كانت تحذرنا منذ البداية.

كنا نظن أن القرب يكفي،

وأن النية الحسنة تشفع لكل شيء،

وأن الحب قادر على ترميم ما يتصدع في الداخل.

لكن بعض العلاقات لا تحتاج مشاعر أكثر،

بل وعيا أكثر، وحدودا أوضح.

وحين تُكتَشف الحقيقة، لا يكون الألم في الخذلان وحده،

بل في إدراكنا أننا رأينا كل شيء،

واخترنا أن نشعر بدل أن نفهم،

فليس كل ما يمنحنا الدفء ينقذنا،

وليس كل ما أحببناه كان صالحا لأن يبقى،

عندها فقط، نتعلم أن المشاعر جميلة،

لكنها ليست وطنا دائما،

وأن النجاة أحيانا تبدأ،
حين نجرؤ على الاصغاء للعقل،
دون أن نخون القلب.
المشاعر لا تكذب،
لكنها لا تمتلك شجاعة الحكم،
إنها تشير، تلمح وتنسحب،
وتترك العقل وحيدا،
أمام ثقل القرار.
في لحظات معينة،
لا يكون الصراع بين الخير والشر،
بل بين ما نريده أن يكون،
وما هو كائن بالفعل،
فنختار الرغبة،
لا لأنها أصدق،
بل لأنها أرحم من الحقيقة،
وهنا تبدأ الخسارة الحقيقية،
حين نُسكت وعينا باسم الإحساس،
ونقنع أنفسنا أن الألم المؤجل،
أقل ثقلا من الألم الصريح.

غير أن الحياة لا تفاوض طويلا،
إنها تعيدك إلى النقطة ذاتها،
مجردا من أعذارك،
وتهمس لك بهدوء قاتل: «كان بإمكانك أن ترى... لكنك لم ترد»
عندها نفهم أن النضج،
ليس في شدة الحب،
بل في قدرتنا على تحمل الحقيقة،
حين لا تخدم مشاعرنا.
والمأساة ليست أننا أخطأنا الاختيار،
بل أننا كنا نعرف الحقيقة منذ البداية،
واخترنا أن نتوهّم بدل أن نفهم.

العدسة الصامتة

بعد أن تنكسر الأوهام،
لا نصبح أكثر قسوة،
بل أكثر حذرا.
نتعلم أن ننظر دون استعجال،
وأن نصغي لما لا يقال،
وأن نقرأ التفاصيل الصغيرة،
التي كنا نسميها سابقا مبالغة،
الحقيقة لا تأتي صاخبة،
لا تقتحم، ولا تجبر،
إنها تقف بصبر،
إلى أن نكون مستعدين لرؤيتها،
وحين نراها،
لا يتغير العالم،
نحن فقط من نتغير،
تسقط من أعيننا العدسات القديمة،
فنفهم أن بعض العلاقات كانت اختبارا،
وبعض الأحلام كانت طريقا لا نهاية له.

وبعض الخيبات... كانت حماية مؤجلة.

في تلك اللحظة،

لا نبحث عن تبرير،

ولا عن مذنب،

نكتفي بأن نرى بوضوح،

وأن نواصل السير،

بعين أقل براءة،

وأكثر صدقا.

الفصل التاسع والأخير

«على حافة النضج»

«على الحافة، تدرك أنها لم تفقد شيئا، وأن كل ما مر بها، كان مجرد ترتيب داخلي للروح.»

على حافة النضج

تقف الروح وحيدة بين صخب الماضي وصمت القادم،
كل تجربة مضت وكل ألم شُعر به،
كل فرح تلاشى،
صار مجرد ظل على الجدار، يتحرك مع الضوء حسب مكانه، يذكرنا أننا لم نفقد شيئا فعليا، بل تعلمنا ترتيب أنفسنا في الداخل.
مع تضارب دقائق الأثير،
ندرك أن ما فاتنا لم يكن إلا قدرا مقدرا،
كل ما عشناه كان له غرض منذ البداية،
منذ أن كنا أرواحا في الأزل،
لقد كانت رحلة بأكملها.
على حافة النضج،
أعود لنفسي كما يعود المسافر المتعب إلى بيته الأول.
لا ليحاسبها،
بل ليراها أخيرا كما كانت،
قلبا طيبا يجاهد،

وروحا تحاول أن تبقى نظيفة،
في عالم لا يكافئ الطيبة دوما.
كلنا في فترة ما كنا نقاوم الحياة بإرادة هادئة،
لا بالصراخ، ولا بالشكوى، بل بالاستمرار،
ذاك الاستمرار الذي لم يكن يُرى،
لكنه كان يحدث بداخلي كل يوم.
تعلمت الحب لأول مرة،
لا كحكاية جميلة،
بل كتجربة كاملة للانكشاف،
أحببت:
ثم اخترت الفراق رغما عني،
لأن قلبي... للمرة الأولى،
كان ناضجا بما يكفي،
ليدرك أن بعض النهايات،
لا تحتاج أن تحدث،
كي نعرف أنها ستكون مؤلمة.
تمر على الإنسان أيام تضيع فيها ذاته، ويفقد الوجهة فجأة،
أسئلة لا تنتهي،
رأس مزدحم بالاحتمالات،

وقلب مرهف من التفكير،
لطالما كنت أبحث عن إجابات،
قبل أن أفهم أن بعض الأسئلة،
لا تتم الإجابة عنها،
بل تُعاش.
بعض البشر،
لا يدخلون حياتنا صدفة،
ولا يبقون عن قصد.
إنهم يشبهون الغيوم العابرة،
لا تمطر،
ولا تسأل لماذا مرت،
يظهرون في وقت معين،
ثم يختفون،
حين يتغير اتجاه الريح.
لا يحملون شرا،
ولا خيرا خالصا،
هم فقط جزء من حركة الأشياء التي لا تقاوم.
نتعلم منهم أن الطيبة ليست خطأ،
لكنها تحتاج حدودا،

وأن القرب لا يُقاس بعدد الأيام،
بل بقدرة الروح على البقاء دون أن تنكسر.
وفي النهاية،
لا تبتعد لأنك قسوت،
بل لأنك نضجت.
تضعنا الحياة أحيانا في مواقف غريبة،
وتجعلنا نتلقى صدمات أغرب،
ما إن ننغمس جيدا في سراديب وهم السعادة،
حتى نستفيق فجأة من دون توقيت أو مكان مناسب،
فجأة نكتشف أن ما فعلناه لا جدوى منه،
وأن ما كنا نتابعه كان لهوا بلا فائدة،
وأن علينا تغيير المسار مجددا،
أشبه بنسيم يجتاحك فجأة ويعيدك إلى نقطة البداية،
لترى نفسك وحيدا تماما،
أنت ونفسك فقط،
لا أحد حولك،
حتى ذلك الضجيج يختفي،
المكان والزمان يختفيان من حولك،
لتصبح كورقة معلقة بين ملايين الأوراق المبعثرة،

حين تنضج وفي اللحظة التي تنضج فيها فجأة،
لن يكون ذلك بالتدريج،
سيأتي فجأة،
فاصل زمني قصير فقط سيفصلك تماما عن ماضيك،
وينسيك ما كنت عليه لتصبح ما ستكون عليه،
أشبه بحالة من السُكر الشديد والمريح،
تفقد التواصل والشعور بمن حولك،
لتجد نفسك أمامك،
كشخص يجلس أمامك وهو يُحدثك،
تتبخر الذكريات وتزول المشاعر الهائجة، كالحنين، والشوق، والخوف، وكلها،
لتتوحد وتصبح شعورا واحدا موحدا لكنه غير مفهوم،
في اللحظة التي توقفت فيها عن الاهتمام بالبشر وبكل شيء،
اللحظة التي أسكت فيها صوت العالم من حولي،
وبدأت أخيرا سماع أصدائي التي كانت دائما تحاول جاهدة أن توقع شيئا ما كي أسمعها وأحتضن ذلك الصوت الداخلي الذي كان يناديني دوما...
كنت أتساءل لماذا لدينا أنفسنا، وما الغرض من وجود العالم الخارجي الذي من حولنا؟
لم يكن العالم من حولي سوى لوحة كبيرة،

سوى محيط وأنا مجرد قطرة منه،
كمرآة تعكس كل ما في داخلي،
كل وجه رأيته، كل صوت وكل ابتسامة أو صمت،
كان صدى لرغباتي، لمخاوفي ولأحزاني الصغيرة والكبيرة،
لم أعد أبحث عن العدالة في الخارج،
ولا عن المحبة في الآخرين،
بل بدأت أرى كل ما يزعجني وكل ما يسعدني،
يبدأ في الداخل قبل أن يظهر في الخارج،
أحيانا كان الغروب يعكس خيباتي،
والنهار إشراقا مفاجئا كان يهمس بما لم أستطع قوله،
وكأن الكون كله يهمس لي:
«العالم كله هو الصدى الصامت لروحك، وما لم ترتبيه بداخله لن يهدأ خارجه»
متى توقف الإنسان عن الحلم، وبدأ يفاوض الواقع؟
وحتى يصبح التنازل حكمة، لا هزيمة؟
كان يوما بئيسا، ذاك اليوم الذي شعرت فيه أن أحدا ما ضربني على مؤخرة رأسي.
كانت علامتي متدنية أكثر بكثير مما كنت أظن، سيئة لدرجة نسيت نفسي، هل أنا موجودة أم لا...

وجدت نفسي بعيدة كل البعد عنهم، سألت نفسي حينها، لماذا أنا موجودة بينهم... لماذا أنا بين كل هذا؟

عندما يحزن الإنسان بعد صدمة معينة، ينسى حاله كيف كان من قبل... ينسى ملامحه وهي مشرقة، وينسى أيضا كيف يبتسم...

لم يكن فشلي في تلك اللحظة هو السبب...

شعرت أن لا أحد مهتم، ولا أحد سيستطيع أن يشعر كما أنا أشعر، أحسست حينها أنني بدون فائدة في هذا العالم... لماذا كان يجب أن أنهار بتلك البساطة؟

لم تكن تلك الخسارة التي أثقلتني... كنت مثقلة قبلها...

شعرت أن شيئا ما ليس بخير، شيئا ما سيتغير أو ربما سأتغير أنا كذلك، مؤكد...

كانت الفترة التي قبلها هدوء تام، كنت سعيدة، أغطي ملامحي كلها بقناع السعادة وكأن العالم كله معي يساندني...

كنت أتساءل هل رتابة الحياة ممكنة؟... نحن بشر لا نصدق الثبات، لأننا على يقين أن الحياة تتغير مثل حال الطقس، مهما ثبت سيتغير ذات مرة وبشدة...

وهكذا كانت حالتي... ظننت أنني لن أتغير إلى أن جاءت لحظة الحسم... اللحظة التي توقفت فيها عن كل شيء، وصرت أشعر بالخوف والحزن كل مرة...

اليوم الذي هطلت فيه الأمطار... اليوم الذي شعرت فيه أنني لا شيء من هذا العالم الواسع... شعرت أنني أسقط بالتدريج في بركة وحل كبيرة.

تلك الحقيقة القاسية التي تلقيتها يومها علمتني أن النضج مؤذٍ جدا في بداياته.

إنه مثل ذلك الجليد الذي تضعه على جبهتك المتورمة فتتألم بشدة، ثم تهدأ فجأة، بعدها تصبح بلا شعور.

حينها تفقد الرغبة في الشعور، الجميع يواسيك بكلمات كنت تشعر بها وكأنها شفقة، وكم كنت أمقت ذلك الشعور بشدة...

لم أشأ تقسيم هذا الفصل كباقي الفصول لأن لا شيء يذكر...

شعور النضج هو مرحلة إن دخلتها فلن تخرج منها ناجيا..

ذلك التغيير الذي يجتاحك فجأة مرعب جدا...

مرت عليّ لحظات كثيرة هكذا، لكن كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بعدم الاهتمام التام... كرهت ابتسامتي وكرهت وجودي بينهم... وكرهت فكرة أنني غارقة بين كل الناجين...

كنت أخشى أن تأتيني لحظات كهذه لأنني كنت أعرف نفسي...

أنني إن حزنت عميقا فلا أحد سينجيني من حزني، وأن الفاكهة عندما تنضج لن تصبح مثل حالتها الابتدائية...

بل ستؤكل أو تصبح لا شيء، بمعنى تخسر فائدتها ولا سبيل للرجوع بتاتا...

وهكذا أنا... كنت أخاف في عمق داخلي أن أشعر بذلك الشعور مرة أخرى، حتى جاء اليوم السوداوي الذي علمني حقيقة أو بداية النضج الحقيقي...

كنت أحسب نفسي أنني ختمت هذه المرحلة، وأنني قادرة على تجاوز الأمور، لكن في الحقيقة كنت فقط أُستنزف وأُمزق من الداخل وبشدة، ولكنني كنت أتظاهر بالسعادة والوجه المبتسم، إلى أن جاءت الحقيقة المرة...

إن ذلك المكان لم يناسبني يوما، وإنني كنت أضيّع نفسي بشدة في مسارات لا تخصني...

عجزت عن التعبير، وخشيت أن أفقد ابتسامتي، لقد كلفني الرجوع لعيش الحياة بحب كثيرا، وها أنا أعود إلى نقطة البداية وكأن شيئا لم يكن...

لا أدري ما الذي كنت لأفعله حينها، كنت قادرة على التجاوز ونسيان الأمر، لكن ثمة أشياء عميقة تنذرني أنني لست بخير...

وأنني على حافة النضج.

كلما نتقدم في العمر نكتشف أن ما شعرنا به في صغرنا كانت مجرد نزوة تشبه كذبة أبريل...

نتخلى عن أحلامنا، وتتعب ملامحنا من عيش اليوم نفسه، ومن مسايرة نفس الحياة، ونفس السيناريو، ونفس كل شيء...

تجعلنا في موقف صعب جدا... تجعلنا نتقبل الحقيقة بأكملها...

فنهرم فجأة ونصمت كالكبار...

كنت في صغري أتساءل لما الكبار يلزمون الصمت كثيرا.

كنت أعتقد أنهم مملين لدرجة ما... لكن عندما تقدمت في العمر خطوات قليلة فقط، اكتشفت أنهم كانوا صغارا مثلي، لا يعرفون من جحيم الحياة شيئا... لكن الحياة جعلتهم في صمت رهيب، فمنهم من تخلى عن أحلامه، ومنهم من صُدم من حياته المتغيرة والمفاجئة، ومنهم من نضج بوعي مؤلم، لكنه مريح بطريقة غريبة أيضا، وكأن النضج حالة لا يتمناها المرء أن تحدث في حياته...

وحتى أنا، كنت أرى أن من الجيد أن ننضج، لكن اكتشفت أن بعد النضج سنهرم...

قررت أن أسبل حياتي مثلهم، وأن أنصاع تحت رحمة القدر...

بدأت في التزام الصمت مثلهم بالتدريج، وبدأت أرى الأصغر مني بنفس النظرة التي كانوا ينظرون بها إليّ... كنت أراهم وهم سعداء، ويلعبون بكل حرية ومرح... لقد كنت أرى ذلك سذاجة... أرى نسختي الصغيرة وكأنها طائشة...

صدق من سماه بنعيم الجهل وجحيم الوعي...

لا يوجد الجهل بلا نعيم، كما لا يوجد وعي بلا جحيم...

يصل الإنسان إلى مراحل يشك فيها في وجوده، ويتحطم لأي سبب، وتخور قواه فجأة عن المقاومة...

نأتي إلى الدنيا، ونحن محملين بالأحلام والأهداف، بكل أمل وسرور أننا على بساط أرض التجارب، نخطو بضع خطوات، فنظن أننا قدنا العالم، حتى نصل إلى نقطة نعجز فيها عن كل شيء...

غريب كيف أن الإنسان رغم طموحه ورغبته الشديدة في عيش الحياة، تأتيه لحظة، فاصل زمني قصير جدا، يجعله فجأة عاجزا عن كل شيء... راض عن كل ما يعيشه، ويلتزم الصمت كأنه كائن لم تُقدر له الحياة يوما...

لكن الحياة لا تقف عند ذلك المنتصف...

تخلق حياة جديدة بعد ذلك الوعي الذي يصيبك...

إنها الحياة التي تعني عدم القدرة عن تصديق ما يحيكه العالم الخارجي... تصبح جامدا وسط هيجان المحيط.

تأملات عابرة...

أحيانا نحتاج لبعض الألم... لبعض الخوف... لبعض القلق حول أنفسنا...

ليس ظلما لنا، بل لتفتح بصيرتنا قليلا، ونملك القدرة على رؤية حقيقة الأشياء من حولنا...

أحيانا توجب علينا فعل ما نكره وعيش ما لا نحب.

تُقدر علينا أماكن لم نكن نتخيل أن نكون فيها، ولا مع الأشخاص الذين ربما لم نرتضي العيش معهم...

أحيانا يكون من الجيد أن يقع الإنسان في بركة وحل كبيرة، ليتعلم أن ينهض مع كل عثرة...

تولد السعادة من رحم المعاناة.

المعاناة مهما رفضنا وجودها وأنكرناها ستبقى جزءا لا يتجزأ من الحياة...

إنها دائمة الحدوث...

بعض الجروح لا تشفى، بل تبقى كندوب ثائرة، كذكرى ضائعة وطويلة المدى.

كنت أكره فكرة أن أعيش في عالم ليس بعالمي...

أو أن أخالط أناسا لا يشبهونني...

لكنني أدركت أن الظروف ليست دائما في صالحنا... سنفشل ونتعثر ونكون مع الأشخاص الخطأ.

ليس لأننا لا نستحق الأفضل.

بل لأن جزءا من الحياة جانبه مظلم لكنه حقيقي... وممكن الحدوث.

لأن ما دام ثمة خير في هذا العالم، ثمة الكثير من الظلام والكثير من الشر.

ونحن ملزمون أن نكون شُعلة، أو أن نحمل شمعة على الأقل، تنير الدروب ما استطاعت... وتحارب الكثير من الظلام لتصبح شمسا يوما ما... وتفشي كل الظلام ليسود النور وتعم السكينة...

رحلة الإنسان عصيبة، وربما مميتة، لكنها دائما محملة بالتجارب المفيدة التي تجعله قادرا على معرفة نفسه واحتضانها وسط كل هذا الوجود المربك.

أحيانا علينا تقبل أننا لسنا بخير، وأن هذا العالم ليس بخير أيضا... وأننا لسنا هنا للمثالية بل للتعلم...

لا توجد حياة مليئة بالإيجابية، كما لا توجد حياة مليئة بالسلبية...

أحيانا يكون الإنسان مسيرا وليس مخيرا، ليس كل ما في هذا العالم نستطيع اختياره.

ثمة مسارات تقدر علينا، ولو كانت خاطئة أو صعبة...

ربما لحكمة ما... أو ربما لنتعلم أن نحافظ على نفس الروح.

ربما لنحافظ على طاقاتنا الطيبة وأرواحنا النقية رغم كل ما يحدث حولنا...

فبعض الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن وهكذا نحن...

ليس دائما سنكون قادرين على تحمل كل شيء، وتفسير كل شيء يحدث حولنا.

يكفي أن نستسلم مؤقتا ونرخي كل جوارحنا، ونقول ما عاد القلب يشتهي شيئا، فإن أتت الرياح، فقل لها تأتي بما شاءت، وكيفما شاءت.

أحيانا بعض الذكريات الجميلة والتعيسة في آن واحد، سيغلق مسارها إلى الأبد كرماد يندثر مع الهواء ليصبح لا شيء رويدا رويدا، ويختفي للعدم.

وجوه عابرة، أصوات متشابكة، والكثير من البؤس، والآلام تصرخ في هذا العالم...

هدوء غاشم وخلف ستار سكونه.

فضاء واسع من الكلام.

العديد من الأحلام والأمنيات غير المحققة.

كل تلك الأشياء الهزلية المؤسفة تحدث في آن وأحد.

ترى كيف للعالم أن يحتضن كل هذا؟

لولا رحمة الله الواسعة التي تطوقنا من كل جانب، لكدنا نموت في أول صرخة لنا في هذه الدنيا.

الكتابة ليست بالشيء الهين،

فالكتب تكتب بصمت الجروح.

ومع كل كلمة يلفظها الكاتب على حقول الورق، تصيبه نوبة نزيف ووجع التذكر، والتمزق لكل ذكرى يفشيها.

ذكرى ختامية

وحين تراجعت الكلمات خطوة أخيرة،
لم يكن ذلك عجزا،
ولا إعلان انتهاء.
كان صمتا،
مثل لحن يكرر نفسه في غرفة مظلمة،
لا تعرف إذا سمعته من الخارج أو من داخلك.
كل ما كُتب كان محاولة لمس شيء ينسحب مع كل كلمة،
وكأن الزمن نفسه يلعب معك لعبة الظلال.
النضج لم يأت كهدية،
ولا كان سلاما،
بل شعورا مختلطا كأشعة الشمس في غرفة ضبابية:
خفيفة، باردة، ملموسة، بعيدة.
في بعض اللحظات شعرت بأن الحياة قصر ضخم بلا نوافذ،
كل باب مغلق،
لكن كل ظل يهمس بشيء عن القوة،
عن القدرة على الوقوف،
حتى حين لا تعرف سبب الوقوف.

ولا أحد يعرف بأي شكل،
ولا أحد يعرف كم منها خاص به،
ولا أحد يعرف متى ينتهي اللحن الأخير،
ولا إذا كان سيبدأ من جديد،
مثل شمس تتسلل خلال ستائر ثقيلة،
ولا يعرفها سوى من وقف بها وحده،
تم بحمد الله.

الفهرس

إهداء ٥
مقدمة ٧
الفصل الأول - بين ثنايا الروح ٩
أول مرة أكتب... ..... ١١
حلم بعيد المنال ١٥
عالمي الأدبي ١٩
الفصل الثاني - صراع الذات ٢٥
حرب بين العقل والقلب ٢٧
هدوء ما بعد العاصفة... ..... ٢٣
الفصل الثالث - «لحن المشاعر» ٣٧
ذكرى عيد الحب... ..... ٣٩
الملجأ الموازي ٤١
روح خافتة ٣٤
الفصل الرابع - «نداء الذات العليا» ٥٤
الطائر الجريح ٤٧
مرحلة جديدة ٤٩
النداء ٥٢

الفصل الخامس- في زوايا الذاكرة.....٥٥
بين الماضي والحاضر... ..... ٥٧
همس الطفولة ٦٠
الذكرى الأخيرة ٦٢
الفصل السادس - تأملات فكرية ٦٥
الكتاب خير جليس ٦٧
أنين الحروف..... ٢٧
الفصل السابع - رسائل لنفسي ٧٧
الرسالة الأولى: إلى التي كنتها... ..... ٧٩
الرسالة الثانية: صراع الذات الأثيرية ٨٢
الرسالة الثالثة: وفي نهاية المطاف..... ٨٥
الرسالة الأخيرة ٨٨
الفصل الثامن - عدسة الحقيقة ٩١
انكسار الوهم الأول ٩٣
حين لا تنقذنا المشاعر.....٦٩
العدسة الصامتة ٩٩
الفصل التاسع والأخير - «على حافة النضج» ١٠١
على حافة النضج.....١٠٣
تأملا ت عابرة... .....١١٤
ذكرى ختامية ١١٨